

مختصر ابن كثير

108 - أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل .

نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن كثرة سؤال النبي عن الأشياء قبل كونها كما قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوءكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم } أي وإن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه فلعله أن يحرم من أجل تلك المسألة ولهذا جاء في الصحيح : " إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته " . وثبت في الصحيحين من حديث المغيرة ابن شعبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال . وفي صحيح مسلم : " ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه " . وهذا إنما قاله بعد ما أخبرهم أن الله كتب عليهم الحج فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه رسول الله ثلاثا ثم قال عليه السلام : " لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم " ثم قال : " ذروني ما تركتكم " الحديث . ولهذا قال أنس بن مالك : نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية فيسأله ونحن نسمع . وعن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن { يسألونك عن الخمر والميسر - و - يسألونك عن الشهر الحرام - ويسألونك عن اليتامى } (رواه البزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس) يعني هذا وأشباهه .

وقوله تعالى : { أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل } أي بل تريدون أو هي على بابها في الاستفهام وهو (إنكاري) وهو يعم المؤمنين والكافرين كما قال تعالى : { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء } عن ابن عباس قال : قال رافع بن حرملة ووهب بن زيد : يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله من قولهم : { أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل } ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل { (أخرجه محمد بن إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس) .

وقال مجاهد : سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا قال : " نعم وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل " فأبوا ورجعوا والمراد أن الله ذم من سأل الرسول صلى

اﻟﻌﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻋﻦ ﺷﻴﺌٍ ﻋﻠﻰ ﻭﺟﻪ ﺗﻌﻨﺖ ﻭﺍﻻﻗﺘﺮﺍﺡ ﻛﻤﺎ ﺳﺄﻟﺖ ﺑﻨﻮ ﺇﺳﺮﺍﺋﻴﻞ ﻣﻮﺳﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ
ﺗﻌﻨﺖﺎ ﻭﺗﻜﺬﻳﺒﺎ ﻭﻋﻨﺎﺩﺍ . ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ : { ﻭﻣﻦ ﻳﺘﺒﺪﻝ ﺍﻟﻜﻔﺮ ﺑﺎﻟﺈﻳﻤﺎﻥ } ﺃﻱ ﻭﻣﻦ ﻳﺸﺘﺮ ﺍﻟﻜﻔﺮ
ﺑﺎﻟﺈﻳﻤﺎﻥ { ﻓﻘﺪ ﺿﻞ ﺳﻮﺍﺀ ﺍﻟﺴﺒﻴﻞ } ﺃﻱ ﻓﻘﺪ ﺧﺮﺝ ﻋﻦ ﺍﻟﻄﺮﻳﻖ ﺍﻟﻤﺴﺘﻘﻴﻢ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺠﻪﻝ ﻭﺍﻟﺰﻻﻝ ﻭﻫﻜﺬﺍ
ﺣﺎﻝ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻋﺪﻟﻮﺍ ﻋﻦ ﺗﺼﺪﻳﻖ ﺍﻟﺄﻧﺒﻴﺎﺀ ﻭﺍﺗﺒﺎﻋﻬﻢ ﻭﺍﻻﻧﻘﻴﺎﺩ ﻟﻬﻢ ﺇﻟﻰ ﻣﺨﺎﻟﻔﺘﻬﻢ ﻭﺗﻜﺬﻳﺒﻬﻢ
ﻭﺍﻻﻗﺘﺮﺍﺡ ﻋﻠﻴﻬﻢ ﺑﺎﻟﺄﺳﺌﻠﺔ ﺍﻟﺘﻰ ﻻ ﻳﺤﺘﺎﺟﻮﻥ ﺇﻟﻴﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﻭﺟﻪ ﺗﻌﻨﺖ ﻭﺍﻟﻜﻔﺮ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ : {
ﺃﻟﻢ ﺗﺮ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺑﺪﻟﻮﺍ ﻧﻌﻤﺔ ﺍﻟﻌﻠﻴﻪ ﻛﻔﺮﺍ ﻭﺍﺣﻠﻮﺍ ﻗﻮﻣﻬﻢ ﺩﺍﺭ ﺍﻟﺒﻮﺍﺭ ... ﺟﻪﻧﻢ ﻳﺼﻠﻮﻧﻬﺎ ﻭﺑﺌﺲ
ﺍﻟﻘﺮﺍﺭ }